وبينه وبينه جرف منكر فضرب لقيط فرسه وأقحمه عليه الجرف فطعنه شريح فسقط .

وقد اختلفوا في ذلك فذكروا أن الذي طعنه جزء بن خالد بن جعفر وبنو عقيل تزعم أن عوف بن المنتفق العقيلي قتله يومئذ وأنشأ يقول .

(ظَلّتْ تلومُ لِما بها عِرْسِي ... جَهْلاً وأنتِ حَليمةٌ أمْسِ) .

(إنْ تقتلوا بَكْرِي وصاحبَه ... فلقد شَفَيْتُ بسَيْفه نفسي) .

(فقتلتُه في الشِّعْبِ أوّلَ فارسٍ ... في الشَّرْقِ قبل تَرَحّلِ الشمس) .

فزعموا أن عوفا هذا قتل يومئذ ستة نفر وقتل ابن له وابن أخ له .

وأما العلماء فلا يشكون أن شريحا قتله وأرتث وبه طعنات والارتثاث أن يحمل وهو مجروح فإن حمل ميتا فليس بمرتث فبقي يوما ثم مات .

فجعل لقيط يقول عند موته .

(يا ليتَ شَعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ ... إذا أتاك الخبرُ المَرْسُوسُ) .

(أتَحْلقُ القُرُونَ أم تَمِيسُ ... لا بَلْ تَمِيسُ إنّها عَروسُ) .

دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس .

وجعلت بنو عبس يضربونه وهو ميت فقالت دختنوس .

(أَلاَ يالَهَا الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكَى ... لضَرْبِ بني عَبْس لَقِيطاً وقد قَضَى)